دراسة نقدية لعقيدة الفداء في المسيحية

محمد نثار الحق*

مقدمة

المسيحية من الاديان السماوية وقد ذكر المسيحيون مع اليهود فى القرآن الكريم كأهل الكتاب . ولكن فضل الله النصارى على اليهود عندما قال انهم الضآلّون – وليسوا المغضوب عليهم مثل اليهود وأنهم أقرب مودة للذين آمنوا. ﴿ذلك بان منهم قسّيسين و رهبانا وأنهم لا يستكبرون﴾ (١). وفيه اشارة الى ان النصارى اكثر استعداداً لقبول الحق من اليهود وأن المناقشة العلمية معهم ربما تجد قلوبا واعية وآذانا مصغية. ومن هنا نجد أن القرآن الكريم يناقش عقائد هم مناقشة تفصيلية ويذكر ما عندهم من الزيغ فى باب العقائدحتى يكون الحق ابلج ساطعا. فمثلا يقول الله سبحانه وتعالى:

﴿ ولقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح إبن مريم..﴾(٢)

وقال: ﴿لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلثة...﴾(٣) وغير ذلك. وهذا كله ليس لأجل الخصومة وانما من منطق الاصلاح ودعوتهم الى الحق.

فمن باب الإتباع لمنهج القرآن نختار عقيدة اساسية من عقائد النصارى وهىعقيدة الفداء وندرسها دراسة تحليلية واقعية بعيدة عن

---

* محاضر فى كلية اصول الدين الجامعة العالمية الإسلامية، اسلام آباد

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

التعصب الدينى الذى يقلل من القيمة العلمية للبحث حتى يتضح امام القارى هذا الاساس الدينى التى تدور عليه المسيحية.

وسيتمثل منهجنا فى هذا البحث فى دراسة هذه العقيدة من خلال نصوص المسيحية وما اشتهر على السنة كبار المسيحيين و العلماء ثم نقدها نقدا علميا عقلا و نقلا.

معنى الفداء؟

الفداء لغة مصدر فدى يفدى أى اعطى شيئا فانقذه وفدى الرجل من الأسر يعنى استنقذه فمال او سواه والفدية هى ما يعطى عوض المفدى. (٤)

اما فى مصطلح المسيحيين فالفداء يعنى الطريق الذى يتم به الحصول على رضى الاله وموافقته وهذا يكون بموت المسيح على الصليب. فالفادى هو المسيح الذى فدى البشر بدمه. (٥)

ما هى عقيدة الفداء

من المعروف ان صلب المسيح عليه السلام فى عقيدة النصارى ينسب الى عقيدة الفداء لديهم. ويعتقد النصارى ان المسيح قد حكم عليه اليهود بالاعدام وقبض عليه جنود الرومان وتهكموا عليه قائلين انه "ملك اليهود". ثم البسوه ثوبا ار جوانى اللون وتاجا شائكا(٦) وأخذوه الى جبل الجمجمة. وعندما وصل الى المكان المحدد لتنفيذ حكم الأعدام جرد المسيح من ملابسه وسمر على الصليب. وفوق الصليب كانت العبارة المنقوشة تبين ذنبه بأنه ادعى انه ملك اليهود (٧). وقد ظل المسيح معلقا على الصليب ثلاث ساعات ووجده الجنود ميتا. ولكن دق واحد منهم رمحه فى جنب المسيح وسفح منه الدم والماء (٨). ثم دفنوه قبيل غروب الشمس. هذا هو ماجاء فى الاناجيل.

جاء القيس بوليس الطرسوسى (م ٦٥ م) واو غسطينوس (٣٥٤-٤٣٠م) و فسرا موت المسيح تفسيرا باطنيا بقولهما ان المسيح عندما

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

صلب قدم نفسه فى الحقيقة فداء لذنوب ابناء آدم. وفحوى هـذه العقيـدة انه نتيجة للمعصية الأصلية التى اصبحت جزءاً من طبيعة ذرية آدم والتـى افسـدت كـل ابنائـه . ويوضـح الكتـاب المقـدس– حسـب الاعتقـادات المسيحية – التاثيرات الموروثة للمعصية الاصلية التى تظهر فى كـل مولـود عاجلا او أجلا ، كمـا انـه يبـين ان نتـائج الخطيئـة يرثهـا كـل بنـى آدم . والطريق الذى اختاره ا لله تعالى لازالة هذه المعصية من النـاس هـو صلـب المسيح ، كما ورد فى دائرة معارف الاديان حيث جاء فيها:

"فى المصطلحات اللاهوتية المعاصرة اصبح معنى الفداء الطريـق الـذى يتـم به رضا ا لله عن طريق موت المسيح" (٩).

فالمسيح عليه السلام – طبقا لهذه العقيدة . قد مات كفارة لذنوب بنى آدم ، وعلى هذا كل من يعتقد صلب المسيح ويقوم بالعماد تزال عنـه آثـار المعصيـة الاصلية وهـذا يعنـى ان المسيح مـات مـن اجـل خطايـا الناس (١٠).

نبذة تاريخية عن عقيدة الفداء كما تصورها لنا المسيحية

خلق ا لله تعالى آدم و اسكنه فى الجنة و وفر له كـل سبل الراحـة فيها و اعطـاه حريـة الارادة الكاملـة مـع ذلـك نهـاه عـن بعـض الامـور. وبسبب حرية الارادة الكاملة كان يمكن لآدم ان يقوم بأىّ عمل حسن او سيئ (١١) ثم اباح ا لله تعالى لآدم ان يعيش كما يحلو له ويأكل ما يشـآء الاّ من الشجرة الممنوعة. وقال لآدم مشيرا الى تلك الشجرة الممنوعة "يـوم تأكل منها موتا تموت" (١٢) وهذا النهى الوحيد لم يكن صعبـا علـى آدم مع كل ما اتيح له من وسائل الراحـة لأنـه لم تكـن لديـه عواطـف الهـوس ونزعات الشهوة على الاطلاق. ورغم ذلك كله عصى آدم ربه وأكل مـن الشجرة الممنوعة و ارتكب المعصية وهذه المعصية بقدر مـا كـان الامتنـاع عنها سهلاً كانت شنيعة جدا فى الكيـف وفـى الكـم (١٣) و قـد سـبب

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

هـذا الذنـب خطايـا كثيـرة مثـل الكـبر والكفـر والقتـل والزنـا والسـرقة والطمع و...

ومن هذا اصبحت هذه المعصية أساس المعـاصى كلهـا فـى الدنيـا. وبسبب هذه الجريمة بعد آدم عـن ا لله وعـن رحمتـه ومحبتـه وبسـبب هـذه الجريمة اصبح آدم مستحقا لعذاب الموت (١٤) وأصبح كـل انسـان يولـد من صلبه و من حواء، المرأة التى وقع آدم بسببها فـى هـذه المعصيـة والتـى تشـترك فىالعقـاب معـه ، يسـتحق ، هـذا العقـاب الدائـم ايضـاً لأنـه مـن صلبهما. هكذا يستحق جميع البشر عقاب جهنم بسبب معصية ابيهم التى هى الخطيئة الاصلية (١٥).

ثما كان هناك سبيلان لتخليص بنى آدم من هذا العقاب الدائم:

- إمّـا ان يغفـر ا لله لهـم جمعيـا عقوبـة الجريمـة الأصليـة ويعفـو عـن الخطايا الاخرى التى ارتكبها ابناء آدم بسبب هذه الجريمة.
- وإمـا ان يعـاقبهم ا لله والعقوبـة هـى المـوت اى يميتهـم ا لله كلهـم ثم يحييهم من جديد و يخلصهم من الجريمة.

ولكن هذا ظهرت مشكلة اخرى وهى ان عقوبة ا لله لهـم بـالموت الذى يستحقه جميع ابناء آدم ان كـانت تتفـق مـع العدالـة الالهيـة فهـى لا تتفق مع رحمة ا لله لأن رحمته تقتضـى المغفـرة لكـل ابنـاء آدم ولكـن هـذا يخالف العدالة الالهية. (١٦)

فالحل الوحيد لهذه المشكلة ان يأتى انسان ما ، لا يشترك مع ابنـاء آدم فى المعصية الاصلية وأن يحمل معاصى النـاس كلهـم. ومعنـى هـذا ان يعاقبه ا لله تعالى عقاب الموت ، وهـذه العقوبـة تسـرى علـى جميـع النـاس وهكذا يمكن إزالة المعصية الاصلية من كل الناس وايضاً كل الجرائـم التـى حدثت بسببها. وبعد هذا يحيى ا لله سبحانه وتعالى هذا الفادى ثم يدخـل الناس جميعا حياتهم الجديدة الخالية مـن المعصيـة الاصليـة ويحصلـون علـى حرية الارادة. و هناك بعض الشروط الازمة للفادى وهى:

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

اوّلا: لابد ان يكون الفادى انسان لانه من اللازم ان تكون الفدية مساوية للمفدى عنه. ولا يساوى الانسان الانسان.

ثانيا: وبما ان هذا الفادى سيكون فاديا لكل البشر ان تكون قيمته معادلة لكل بشر.

ثالثا: ان يكون الفادى خاليا من الخطيئة خلوا تاما.

رابعا:ان لا يكون الفادى مخلوقا لانه لو كان مخلوقا لكان بجملته ملكا لله. والشخص الذى لا يملك نفسه لا يحق له تقديم نفسه فدية عن نفس ما. اذا، الفادى يجب ان يكون غير مخلوق لكى يكون من حقه ان يقدم نفسه كفارة (١٧).

وهذه الشروط لا تتوافر الا فى الله سبحانه وتعالى لانه وحده غير مخلوق وبرئ عن الخطايا فنزل الله تعالى فى صورة ابنه وهو المسيح. والمسيح لم يدخل رحم مريم من نطفة انسان لذلك هو برئ من الخطيئة الاصلية التى يشترك فيها جميع البشر. كان لا بد ان يكون الله فى صورة انسان لان الانسان هو الذى كان يحتاج لان تكفر عنه المعصية.ولو لم يكن الله فى صورة بشر لما كان التكفير عن المعصية الاصلية ممكنا (١٨) فولد المسيح بدون اب لذلك هو يختلف عن بنى آدم من ناحيتين:

ا- ولادته بدون الاب.

ب- برائته من المعصية الاصلية.

فالهدف الاول والاعظم لحياته هو تاهيله ليكون قربانا لان القربان لابد ان يكون طاهرا ونظيفا .(١٩)

فعاش المسيح عليه السلام بدون اية معصية وصلب على الصليب وكفر ذنوب جميع الناس. وهكذا خلص جميع ابناء آدم من عقاب جهنم كما كانت تقتضى رحمة الله تعالى ، وهذا لم يخالف العدالة الالهية ايضا (٢٠) ويشير الى نفس الموضوع الكتاب المقدس حينما يقول "لكن احزاننا حملها و اوجاعنا تحملها ونحن حسبناه مصابا مضروبا من الله و

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مذلولا ، وهو مجروح لاجل معاصينا ، مسحوق لأجل آثا مناتأديب سلامنا عليه و بحبره شفينا . كلنا كغنم ضللنا ملنا كل واحد الى طريقه والرب وضع عليه اثم جمعينا" (٢١).

هذه هى خلفية عقيدة الكفارة والصلب عند النصارى وقد اعتمدنا الى اكبر حد ممكن على كتب المسيحية فى تصوير هذه العقيدة. وخلاصة الكلام ان كل مولود يولد على المعصية وتسقط عنه المعصية فقط عندما يؤمن بان المسيح هو الفادى ويقوم بالعماد (Baptism) او المعمودية وهى نوع من عملية الغسل بالماء التى تجرى على كل من يعنتق النصرانية ، ولا يعتبر احد نصرانيا بدونها ، ومن وراء هذه الطقس عقيدة الكفارة وذلك ان التعميد يجعل الانسان يموت ويحيى من جديد عن طريق يسوع المسيح ، و بالموت ينال العقوبة على خطيئة الاصلية و بالحياة الجديدة يحظى بحرية الارادة من جديد.

دراسة نقدية

كل الشرائع جاء بها رسل ا لله تعالى، يؤيدها العقل والفكر، والقرآن الكريم يدعو الى التفكير والتدبر ، فقد تكرر قوله تعالى فى القرآن الكريم "لعلكم تتفكرون" افلا ينظرون".

والعقائد الاساسية– على الاخص– فى اى دين لابد ان تكون موافقة للعقل. وقد شرحنا عقيدة الفداء كما هى عند النصارى ، والان نبحث موقف العقل من هذه العقيدة.

يعتقد النصارى ان قضية الصلب والفداء تحقق العدل والرحمة معا. ولكنا نقول انها تخالف كليهما. لان أوليات العدالة تقتضى ان يتحمل المخطئ العقاب ولا يكون العقاب على غيره. ولكن فى المسيحية يخطى آدم عليه السلام يعاقب عيسى عليه السلام. هل هذه يتفق مع العدالة؟

اما الرحمة فهى لم تتحقق لان معنا ها العفو و الصفح او التخفيف فى العقاب ولكن الامر على عكس هذا فى قضية الصلب والفداء. فآدم

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

هو الذى ارتكب الخطيئة ولكن شخصا اخر بريأ من كل المعاصى عوقب بالقتل. هل هذه هى الرحمة؟ ثم هل خطيئة الاكل من الشجرة الممنوعة تستحق ان يعاقب مرتكبوها بالموت؟ وهل عقوبة العذاب بالنار تقع على خطيئة الاكل من الشجرة الممنوعة؟ هذا يوضح ان فلسفة الصلب والفداء تخالف العدالة والرحمة معا ، وانها منقوضة بالعقل. فالعدالة تقتضى توقيع العقوبة الكاملة على الجانى ، والرحمة تقتضى عكس ذلك. فكيف يجتمع هذان الضدان معا.

اذا كانت الحكمة من صلب المسيح (حسب زعم النصارى) هى فداء الجنس البشرى حتى لا يخلد فى عقاب جهنم فلما ذا لم يبعث الله ابنه عندما اخطا آدم عليه السلام او بعد ذلك فورا؟ لما ذآ انتظر لهذه المدة الطويلة. هل كان الله تعالى يفكر فى هذه المشكلة و لم يجد اى حل الا بعد اربعة الاف سنة؟ "طبعا هذا غير مفهوم وغير معقول عند كل من يفكر ويعقل ، لان هذا يعنى ان الله وقع فى التردد والحيرة طوال هذه المدة بعد معصية آدم و هذا يتنافى مع الايمان بالله وقدرته لانه يعنى ببساطة. ان هناك نقصا فى علم الله وحكمته والله برى من كل هذا. جاء المسيح بعد آدم عليه السلام بالاف سنة. فما هى عاقبة الذين ماتوا فى تلك المدة؟ اذا كانوا من الناجين فكيف والفادى لم يبعث لهم؟ واذا كانوا من المعاقبين فلما ذا لم تشملهم رحمة الله؟ اليست هذه قسوة فى حقهم؟ ولما ذا ارسل الله فاديا ليفدى بعض الناس دون البعض؟ (٢٢) ان عقيدة الصلب والفداء تعنى ان كل انبياء الله قبل مجئ ، المسيح ملوثون بالخطيئة ولكن المسيح جاء وهو تابع لشريعتهم ، فلما ذا ارسل الله ابنه على شريعة الملوثين بالخطيئة والمعصية؟ ثم لماذا اختارهم الله تعالى رسلا وهم مخطؤن عاصون؟ (٢٣) ان العدالة الا لهية تقتضى ان يعطى كل واحد فرصة العمل ثم يحاسب على اعماله ﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرايره﴾(٢٤).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ولكن حسب عقيدة الصلب والفداء يولد جميع الناس وهم عاصون. اليس هذا ظلما فى حقهم؟ وكل ابناء آدم عصاة ، طبقا لهذه العقيده ، لان المعصية الاصلية يرثها نسل آدم بلا استثناء. وما دام المسيح ولد بدون اب فهو برئ من هذه المعصية. نقول ان هذا غير معقول لان المراة ايضا عاصية لانها من نسل آدم. ثم ان آدم ارتكب هذه الجريمة بسببها(٢٥) وما دام عيسى ولد من مريم ، وهى واحدة من بنات آدم و حواء ، فكيف يكون عيسى بريئا من الخطيئة الاصلية؟

والحق ان الاعتقاد فى ان صلب المسيح ادى الى مغفرة ذنوب الناس كلهم يجعل الانسان يتصور ان ذنوبه قد غفرت نتيجة هذا الصلب ، فهو لا يحتاج الى الاعمال الصالحة و اجتناب المعاصى ، وهذا طبعا يوثر تاثيرا سلبيا على اعمال الناس ويضر صحة المجتمع ككل.(٢٦)

هذه العقيدة تخالف القواعد العقلية البسيطة التى تقضى بان الادنى يضحى به لاجل الاعلى، والقليل يضحى به من اجل الكثير. فمثلا يضحى الانسان بحياته من اجل اعلاء كلمة ا لله ، لان كلمة ا لله اكثر اهمية من حياة الانسان. ولكن ابن ا لله الوحيد الذى هو اعلى من الناس كلهم يصير فداء للمخلوق العاصى. هذا غير معقول وغير مفهوم. انه مثل الذى ينفق مائة روبية ليحصل على عشر روبيات (٢٧). والغرض من تجسيم المسيح – طبقا لهذه العقيدة – هو هذه الكفارة ولاجل هذا جاء المسيح الى هذه الدنيا (٢٨) واذا كان الامر كذلك فلما ذا لك يقدم نفسه فورا دون محاولة الخلاص من هذا الموت على الصليب؟

ثم يعتقد النصارى ايضا ان لله قدصلب المسيح لاجل الناس حتى تتحقق العدالة ثم احياء بعد ذالك فى الليلة الثالثة دون ان يراه احد ، ومعنى هذا انه قدم أبنه فداء امام الناس ثم احياه فى الخفاء. اليست هذه خديعة؟ ان ا لله يميت ابنه موتا لعينا امام الناس ولكن يحييه بعد ذلك. فمن

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

يستطيع ان يحيى ابنه الفادى بعد الموت يستطيع بكل تاكيد ان يغفر ذنوب الناس بدون الكفارة وهذا كان اقرب الى رحمته.

و عندما ننظر الى نتائج فكرة الكفارة نجدها غير معقولة ايضا. فمثلا جاء فى الكتاب المقدس ان آدم عند ما اكل من الشجرة الممنوعة سأله ربه "هل اكلت من الشجرة التى اوصيتك ان لا تاكل منها؟ فقال آدم المرأة التى جعلتها معى اعطتنى من الشجرة فاكلت " ثم قال الرب للمرأة " اكثر اتعاب حبلك بالوجع تلدين اولا دا والى رجلك يكون اشتياقك وهو يسود عليك وقال لآدم لانك سمعت لقول امرأتك و اكلت من الشجرة التى اوصيتك قائلا لا تاكل منها ملعونة الارض بسببك، بالتعب تاكل منها كل ايام حياتك"(٢٩) اذا كانت الكفارة غفران المعصية الاصلية فلما ذا تصاب بنات حواء حتى الان بهذه المصائب؟ لماذا تصاب المرأة المسيحية بالوجع وهى مؤمنة بأن المسيح هو الفادى عنها؟ ولمذا يتعب الرجل و يحصل على رزقه بصعوبة؟ كان المفروض – طبقا لهذه العقيدة – ان لا تبقى هذه الاثار للمعصية الاصلية ، ولكن منا دامت النساء يشعرن بالوجع عند الولادة وما دام الرجال يتعبون فى الكسب لا توجد اية فائدة ولا اى اثر لصلب المسيح ، وهذا يدل على ان عقيدة الكفارة باطلة وغير معقولة.

وقد كان عيسى عليه السلام – طبقا لعقيدة النصارى – بريئاً من المعصية الاصلية لأنه ولد بدون أب. فنقول انه ولد من امه مريم وهى ملوثة بالمعصية الاصلية . ثم هى ، من حيث انها امرأة عاصية اكثر من الرجل لان المرأة كانت سببا فى معصية آدم لانها شجعته على ان يأكل من الشجرة الممنوعة . يقول الكتاب المقدس "فرأت المرأة" ان الشجرة جيدة للاكل وانها بهجة للعيون و ان الشجرة شهية للنظر فاخذت من ثمرها واكلت واعطت رجلها ايضا معها فاكل"(٣٠) و آدم لم يغو لكن المراة اغويت فحصلت فى التعدى"(٣١) وما دام عيسى ولد من المرأة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

فقط فان معصية تكون اكبر من معصية الذيـن ولـدوا مـن اب وام . ففـى هذه الصورة هولا يستطيع ان يقدم نفسه لكفارة الذنوب ... و هذا يبطل عقيدة الصلب والفداء.

والفلسلة وراء هذه العقيـدة هـى ان آدم عصـى و أمـات ا لله ابنـه عيسى تكفيرا لجريمته . فهل هذا من الممكن فـى ايـة محكمـة بشـرية؟ هـل يمكن فى عرف البشر ان يعاقب اى واحد اخر بـ ـلا مـن الجـانى؟ و اذ لم يرض البشر مثل هذا التعامل فهل تقبله العدالة الالهية؟(٣٢)

والسؤال الأساسى فى هـذا الصـدد هـو ان ا لله اذا كـان يريـد ان يغفر ذنوب الناس او يزيل عنهم آثار المعصية الاصلية فمن قيد ا لله كـى لا يفعل ذلك بدون الكفارة؟ (٣٣) هل ا لله (نعوذ با لله) غـير قـادر علـى ان يغفر الذنوب بدون اى عقاب؟ اذن هو ليس بإله لان قدرته ناقصة.

واذا فرضنا ان صلب المسيح قـد كفـر المعصيـة التـى ارتكبهـا آدم باكله من الشجرة الممنوعة فماذا عن الخطايا الاخرى التى يرتكبهـا النـاس بعد ذلك ؟ يجيب المسيحيون على ذلك بأن الذنب بعد ذلـك ذنبهـم فهـم يعاقبون على ذلك(٣٤)؟ ولكننا نلاحظ ان الكفارة الكبرى التـى قـام بهـا ابن ا لله– باعتباره فاديا– تزيل معصية واحـدة و تـترك خطايـا كـبرى ، لا تعد ولا تحصى ، بدون ان تكفر عنها. ومن هذه الخطايا انكار وجـود ا لله والسخرية من وجود الجنة والنار. هـل تعتـبر معصيـة الاكـل مـن الشـجرة الممنوعة اكبر من هذه المعاصى؟ لماذا تكفر "الكفـارة" معصيـة آدم و تـترك معاصى اخرى كثيرة و عديدة؟ فما الفائدة– اذن– من مثل هذه الكفارة؟

وقد انتقلت المعصية الاصلية مرتين حسب هـذه العقيـدة: انتقلـب اولا من آدم الى ابنائه ثم من ابناء آدم الى المسيح . فهل القانون الالهى يجيز ان تحمل نفس وزر غيرها؟ وخاصة عندما تقول التوراة:

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

" النفس التى تخطىء هـى تمـوت. الا بـن لا يحمـل مـن اثـم الأب والأب لا يحمل من اثم الابـن . برالبـار يكـون عليـه وشـر الشـرير يكـون عليه"(٣٥).

والسؤال هو كيف انتقلت معصية آدم الى ابنائـه؟ ثـم كيـف حمـل المسيح خطايا لم يرتكبها؟ اليس كله ضد تعاليم الكتاب المقدس؟

عقيدة الصلب و الفداء عقيدة مركزية فى دين المسيحية فكان مـن المفروض أن تشرح هذه العقيدة شحا كافيا فى الاناجيل الاربعة لانها هـى روح المسيحية . والفكرة الاساسية فى اى ديـن او فلسـفة تشـرح و تبـين مرارا. فمثلا يقوم اساس الاسلام على توحيد ا لله والاخرة والنبوة. وتوجد كل هذه العقائد منتشرة فى عدة مواضع من القرآن وفى الحديث . ولكـن مع الاسف عند ما ننظر الى الاناجيل الاربعة التى تعتبر المصدر الوحيد عند النصارى لاقوال المسيح و تعاليمه فلا نجد اى قول ولا اى بيان من المسيح عن عقيدة الصلب والفداء بل يبلغهـا القسيسـون والرهبـان مـن انفسـهم ، وهذا فى الرسائل المختلفة التى كتبت بعد موت المسيح . فالحال هو انه لا يستطيع اى واحـد ان يثبـت عقيـدة الصلـب والفـداء (التـى هـى أسـاس المسيحية) من اقوال المسيح.

نقد عقيدة الفداء فى ضوء ما جاء فى الكتاب المقدس

كمـا عرفنـا خـلال دراسـتنا السـابقة ان عقيـدة الفـداء هـى لـب المسيحية ، فكان من المتوقع ان توضح هذه العقيـدة فـى الانـاجيل الاربعـة بالتفصيل. ولكن من العجيب جـدا اننـا لا نجـد اشـارة واحـدة الى عقيـدة الكفارة فى اقوال المسيح عليه السلام فى الكتـاب المقـدس ولا فـى اقـوال الحواريين . وهذا يدل علـى ان هـذه العقيـدة قـد اخترعتهـا الكنيسـة بعـد موت المسيح . لان كل ما نجده فى الاناجيل التـى تسـتنبط منهـا الكنيسـة عقيدة الكفارة الفقرات التالية:

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

ا) قستلد ابناً وتدعو اسمه يسوع لانه يخلص شعبه من خطاياهم .(٣٦)

ب) انه ولد لكم اليوم فى مدينة داؤد مخلص هو المسيح الرب.(٣٧)

ج) لان ابن الانسان قد جاء لكى يطلب ويخلص ماقدهلك.(٣٨)

د) كما ان ابن الانسان لم يات ليخدم بل ليخدم وليبذل نفسه فدية عن كثيرين .(٣٩).

ه) لان هذا هو دمى الذى للهعد الجديد الذى يسفك من اجل كثيرين لمغفرة الخطايا.(٤٠)

لا توجد فى الاناجيل الا ربعة سوى هذه الفقرات فى شأن عقيدة الكفارة . ولكن اصبحت الآن عقيدة الكفارة منتشرة جدا مع كل تفاصيلها الى حد ان اى شخص عندما ينظر الى هذه الفقرات يظن انها عن الفداء. ولكننا اذا نظرنا اليها بمعزل عن عقيدة الكفارة المعروفة · لانفهم منها الا ان المسيح جاء ليخلص الناس عن طريق الهداية وهو مستعد لتقديم حياته ايضا فى سبيل هداية الناس. لا يستنبط من هذه الفقرات ان آدم عصى و انتقلت معصيته الى جميع ابنائه و ان المسيح جاء ليخلص الناس من هذه المعصية وعقابها. واذا جاز لا ان نستنبط من هذه الفقرات عقيدة الكفارة فلما ذا لا يجوزلنا ان تستنبط منها مفهوما آخر وهو ان عيسى عليه السلام يحمل مسؤلية معاصى الناس · وبناء على ذلك يستطيع كل انسان ان يرتكب ماشاء من المعاصى دون خوف من العقاب لان المسيح قد قدم الفكارة له. ماذا يمنعنا من اخذ مثل هذا المفهوم من نفس الفقرات؟

على كل حال لايمكن اثبات عقيدة الكفارة من الاناجيل المقدسة ولا يوجد اى قول من اقوال المسيح يبين هذه العقيدة المسيحية. والسؤال

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

هو: من ايـن جـاءت اذن هـذه العقيـدة الى المسـيحية؟ عندمـا نبحـث فـى الكتاب المقدس عن هذه العقيدة بصورتهـا المعروفـة عنـد النصـارى نجدهـا اول مرة فى رسالة "بولس" التى كتبها الى اهل رومية والتـى يشـرح فيهـا فلسفة هذه العقيدة و تفاصيلها عندما يقول:

" من اجل ذلك كانما بانسان واحـد دخلـت الخطيئـة الى العـالم و بالخطيئة الموت وهكذا اجتاز الموت الى جميع الناس اذ أخطا الجميع . فانـه حتى الناموس كانت الخطيئة فى العـالم. علـى ان الخطيئـة لا تحسـب ان لم يكن ناموس. لكن قد ملك الموت من آدم الى موسى وذلك على الذيـن لم يخطؤ على شبه تعدى آدم الذى هو مثـال الآتـى ـ ولكـن ليـس كالخطيـة هكذا ايضا.الهبة. لآنه ان كان بخطية واحد مات الكثـيرون فبـالأولى كثـيرا نعمة ا لله والعطية بالنعمة التى بالانسان الواحد يسوع المسـيح قـد ازدادت للكثيرين. وليس كما بواحد قد اخطا هكذا العطية لان الحكم مـن واحـد للدينونة. واما الهبة فمن جرى خطايا كثيرة للتبرير. لانـه ان كـان بخطيئـة الواحد قد ملك الموت بالواحد فبالاولى كثير الذين ينالون فيـض النعمـة و عطية البر سيملكون فى الحيوة بالواحد يسـوع المسـيح. فـاذا كمـا بخطيـة واحد صار الحكم الى جميع الناس للدينونة هكذا ببر واحد صارت الهبة الى جميع الناس لتبرير الحياة. لانه كما بمعصية الانسان الواحد جعـل الكثـيرون خطاة هكذا ايضا باطاعة الواحد سيجعل الكثيرون ابرارا(٤١).

وايضا يقول:

" كل من اعتمد يسوع المسيح اعتمدنا لموته فدفنـا معـه بالمعوديـة للموت حتى كما اقيم المسيح من الاموات بمجد الاب هكذا نسـلك نحـن ايضا فى جدة الحياة . لانه ان كنا قد صرنا متحدين معه بشبه موته نصـير أيضا بقيامته عالمين هـذا ان انسـاننا العتيـق قـد صلـب معـه ليبطـل جسـد الخطيئة كى لا نعود نستعبد ايضا للخطيئة (٤٢).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

و بعد بوليس فسر القسيس " او غسطيونس" فلسفة هـذه العقيـدة بصورة اكثر تفصيلا وثبت فكرة المعصية الاصلية فى عقائد الكنيسة(٤٣).

فى ضوء هذا نعرف ان هذه العقيدة ليست مستنبطة من الانـاجيل بل اخترعها "بوليس" والاخرون بعد المسيح.

والاساس الاول لهـذه العقيـدة هـو ان ابنـاء آدم كلهـم عـاصون و يستحقون العقاب الدائـم. فارسـل ا لله ابنـه ليخلصهـم مـن هـذه المعصيـة والعقاب . والقول بان كل واحد من الناس كان عاصيا قبـل مجئ المسـيح باطل طبقا للكتاب المقدس ، لان الكتاب المقدس تكلم عن عـدة اشـخاص عاشوا قبل مجيء المسيح وكانوا مـن الصلحـاء والاتقيـاء ، فمثـلا جـاء فـى الكتاب المقدس عن اخنوخ:

"فكانت كـل ايـام اخنـوخ ثلاثمائـة و خمسـا و سـتين سنة وسـار اخنوخ مع ا لله "(٤٤).

وجاء عن نوح عليه السلام:

" كان نوح رجلا بارا كاملا فى اجياله وسار نوح مع ا لله" (٤٥)

وعن ايوب:

"وكان رجل فى ارض عوص اسمه ايوب وكان هذا الرجل كـاملا و مستقيما يتقى ا لله ويحيد عن الشر "(٤٦). ويقول الكتاب المقـدس عـن والدى يوحنا" وكانا كلاهمـا بـارين امـام ا لله سـالكين فـى جميـع وصايـا الرب واحكامه بلا لوم"(٤٧).

هـذه الامثلـة مـن الكتـاب المقـدس تثبـت انـه قـد عـاش الانقيـاء والصلحـاء قبـل مجئ المسـيح. وهـذا يبطـل الحاجـة الاساسـية الى عقيـدة الكفارة: وهى ان كـل النـاس علـى وجـه الارض كـانوا بعيديـن عـن ا لله بسبب المعصية الاصلية فجاء المسيح ليخرجهم من هذا . ولكننا عرفنا مـن كتابهم المقدس ان الامر لم يكن هكذا . بل كان هناك رجال اتقيـاء بـررة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

مستقيمون يخافون الله و يحيدون عن الشر ، وهذا يبطل اساس الكفارة وبالتالى يهدمها تماما.

والنقطة الاخرى الاساسية فى هذه العقيدة المسيحية هى ان الله تعالى لم يغفر خطيئة آدم و نتيجة لهذا انتقلت الخطيئة الى كل ابناء آدم لان الله تعالى لا يغفر الذنوب بالتوبة فقط بل لا بد من العقاب ولتخليص الانسان من ذلك العقاب ارسل الله ابنه الوحيد فصلب لهذه الغاية وحمل خطايا الناس كلهم.

والقول بان الله تعالى لا يغفر الا بالعقاب باطل حسب الكتاب المقدس فقد جاء فى الانجيل ان الله تعالى غفر ذنوب اهل نينوى بدون اى عقاب بل بصومهم واقامتهم للتوبة ، (٤٨) فاذا كان الله تعالى قد تاب على اهل نينوى بدون عقاب بعد معصيتهم فلما ذا لم يغفر الله لآدم؟

ومن المعلوم انه اذا بطلت القضية الكلية بطلت القاعدة. وقد عرفنا ايضا ان الله تعالى يغفر بدون الكفارة عن طريق الدعوات و العبادات . وليس ما رويناه الآن من الانجيل هو كل ما نستطيع ان نستدل به على بطلان اساس عقيدة الصلب والفداء ، بل يشرح الكتاب المقدس بوضوح ان الانسان يكفيه–لكى ينجح ويفلح – ان يعمل اعمالا حسنة بدون اى ذكر للحاجة الى كفارة المسيح او الايمان بها. فمثلا جاء فى الكتاب المقدس:

" النفس التى تخطىء هى تموت والانسان الذى كان باراً و فعل حقا و عدلا لم ياكل على الجبال و لم يرفع عينيه الى اصنام بيت اسرائيل و لم ينجس امرأة قريبه و لم يقرب امرأة طامثا و لم يظلم انسانا بل رد للمديون رهنه و لم يغتصب اغتصابا بل بذل خبزه للجوعان و كسا العريان ثوبا و لم يعط بالربا و لم ياخذ مرابحة و كف يده عن الجوارح واجرى العدل الحق بين الانسان و الانسان وسلك فى فرائضى وحفظ احكامى ليعمل بالحق فهو بار ، حيوة يحيا يقول السيد الرب"(٤٩).

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

" فكل ما يحتاجه الانسان لنجاحه و حياته الابدية – طبقا لهذا النص – هو الاعمال الصالحة ولا يحتاج الى الايمان بقصة الكفارة المعقدة المخترعة على يد *القساوسة* . *ولو كانت الكفارة هي الطريق* الوحيد للخلاص– كما يعتقد اهل الكنيسة– لكان على حزقيال ان يؤكد على الإيمان بكفارة المسيح بدلا من الاعمال الصالحة المذكورة فى رسالته.

وهناك نص آخر يصرح بوضوح كامل ان لكفارة او عقيدة الفداء والصلب لا علاقة لها بخلاص الانسان من معاصيه و هذا واضح على لسان المسيح نفسه فى النص التالى:

" وإذا واحد تقدم وقال له ايها المعلم الصالح اى صلاح اعمل لتكون لى الحيوة الا بدية. فقال له لماذا تدعونى صالحا. ليس احد صالحا الا واحد وهو ا لله ولكن ان اردت ان تدخل الحيوة فاحفظ الوصايا. قال له اية الوصايا فقال يسوع لاتقتل ، لاتزن ، لا تسرق ، لا تشهد بالزور ، اكرم أباك و أمك ، وأحب قريبك كنفسك ، قال له الشاب هذه كلها حفظتها منذ حداثتى فما ذا يعوزنى بعد ، قال له يسوع ان اردت ان تكون كاملا فاذهب و بع املاكك واعط الفقراء فيكون لك كنز فى السماء و تعال أتبعنى"(٥٠).

هنا لم يذكر المسيح شيئا عن صلبه و عقيدة الكفارة بل ارشد السائل الى العمل الصالح ليحصل على حياته الابدية. واذا كان المسيح نفسه لا يبلغ ولا يذكر عقيدة الصلب والفداء فى حياته مع انه سئل عن الاعمال التى تنجى، فلما ذا ينسب "بولس" عقائد باطلة الى المسيح مع ان "بولس" كان فى البداية من اعداء المسيح و متبعيه.

وبالا ضافة الى هذا نجد نصا آخر فى الكتاب المقدس يبين بوضوح ان ا لله تعالى فى يوم القيامة يغفر للناس لا على اساس ايمانهم بصلب المسيح و الكفارة بل على اساس اعمالهم الصالحة ويعاقب الاخرين عقوبة

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

النار لا لانهم لم يؤمنوا بعقيدة الصلب والفداء بل لانهم لم يقوموا بالاعمال الصالحة ، فقد جاء في انجيل متى مايلي:

" ثم يقول الملك للذين عن يمينه تعالوا يا مباركي ابي رثوا الملكوت المعدلكم منذ تأسيس العالم لأني جعت فاطعمتموني، عطشت فسقيتموني، كنت غريبا فآويتموني ، عرينا فكسيتموني ، مريضا فزرتموني، محبوسا فاتيتم الى فيجيبه الابرار حينئذ قائلين يا رب متى راينا جائعا فأطعمناك أو عطشا نا فسقيناك و متى رأيناك غريبا فآوينا او عريانا فكسوناك ومتى رأيناك مريضا او محبوسا فاتينا اليك فيجيب الملك ويقول لهم الحق اقول لكم بما انكم فعلتموه باحد اخوتي هولاء الأصاغر فبي فعلتم ثم يقول للذين عن اليسار أذهبوا عني يا ملا عين الى النار الابدية المعدة لابليس و ملائكته لاني جعت فلم تطعموني ، عطشت فلم تسقوني، كنت غريبا فلم تأووني ، عريانا فلم يكسوني ، مريضا و محبوسا فلم تزورونى حينئذ يجيبونه هم ايضا قائلين يا رب متى رأيناك جائعا أو عطشانا أو غريبا أو عريانا أو مريضا أو محبوسا و لم نخدمك فيجيبهم قائلا الحق اقول لكم بما انكم لم تفعلوه باحد هولاء الاصاغر فبي لم تفعلوا ، فيمضى هولاء الى عذاب أبدى والأبرار الى حيوة ابديه" (٥١).

يثبت هذا النص ان الخلاص الحق طبقا للكتاب المقدس لا علاقة له بالصلب ولا بعقيدة الكفارة و انما هو مرتبط بالايمان با لله سبحانه وتعالي والاعمال الصالحة كما يقول الكتاب المقدس :

"انت تؤمن بأن ا لله واحد، حسنا تفعل والشيا طين يؤمنون و يقشعرون ولكن هل تريد ان تعلم ايهاالانسان الباطل ان الايمان بدون اعمال ميت... و ... انه بالاعمال يتبرر الانسان"(٥٢)

يبقي الجزء الا خر من عقيده الفداء وهو ان معصية آدم قد انتقلت الي كل ابنائه ـ وهذا ايضا يخالف تعاليم الكتاب المقدس لانه قد اتضح ان كل واحد مسؤل عن أعماله والكتاب المقدس لا يؤيد فكرة انتقال الآثام

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

من الأب الي الابناء يعني ان ابناء آدم وحواء لا يواخذون بمعصيتهما ويصرح الكتاب المقدس بهذا الصدد:

" لا يقولون بعد الاباء اكلوا حصرما واسنان الابناء ضرست. بل كل واحد يموت بذنبه. ككل انسان ياكل الحصرم تضرس اسنانه"(٥٣)

واذا كان آدم هو الذي اكل فلما ذا تضرس اسنان الابناء ؟

وفي ضوء هذا تبطل عقيدة الصلب والفداء لانها اسست علي ان معيصة آدم (المعصية الاصلية) تورث الي كل ابناء آدم وحوا. ولا بد من مجيء المسيح ليخلص ابناء آدم من هذه المعيصة الموروثة- واذا بطل الاساس بطلت العقيدة كلها فاذا لم يرث ابناء آدم معصية ابيهم فلا يستحقون عقاب تلك المعصية ايضا. لان هذا ضد العدالة الالهية . والله تعالي لا يعاقب ابناء آدم لمعصية أبيهم كما جاء في الكتاب المقدس بمنتهي الوضوح:

" وانتم تقولون لما ذا لايحمل الابن من اثم الاب. اما الابن فقد فعل حقا وعدلا حفظ جميع فرائضى وعمل بها فحيوه يحيا. النفس التي تخطي هي تموت الا بن لا يحمل من اثم الاب والأب لا يحمل من اثم الابن برالبار عليه يكون و شر الشرير عليه يكون . فاذا رجع الشرير عن جميع خطاياه التي فعلها وحفظ كل فرائضى و فعل حقا وعد لا فحيوة يحيا لا يموت"(٥٤)

فهذه الاقوال من الكتاب المقدس تثبت صراحة ان الابناء لا يواخذون بمعاصي ابائهم -

فالا عتقاد بان كل انسان يولد علي فطرة المعصية ظلم للانسانية وليس فقط ضد قوانين العدل والقسط بل ضد التعاليم الواضحة للكتاب المقدس -

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

نتيجة البحث

تبين لنا من خلال هذه المناقشة ان عقيده الصلب والفداء غير معقولة من كل ناحية: العقلية والنقيلة ـ فالا ساس هو ان خطيئة آدم وصلت في خطورتها الي حد جعلها لا تستحق العفو والمغفرة فكان العقاب حتميا.

فهل من المعقول ان الاكل من الشجرة الممنوعة يجعل الانسان يستحق العقاب الدائم والموت . اما ان "هذا الذنب قد احتوي علي كل انواع الذنوب".

فليس له اي دليل في الاناجيل المحرفة بل هي افكار "بوليس" و "اوغسطينوس" اللذين جاء بعد موت المسيح ـ

اما الانا جيل الاربعة فتخالف هذه الفكرة تماما ـ

كيف اصبحت هذه العقيدة مر كزية للمسيحية مع انها عقيدة غير سماوية و باطلة من نا حية العقل ومن ناحية الكتاب المقدس!!

الحواشي

١- المائدة/٨٢

٢- المائدة/٧٢

٣- المائدة/٧٣

٤- المنجد، مادةفدي

٥- William J. Wolf, Christian concepts of Atonement, P 495, V.I

٦- انجيل مرقس١٨:١٥

٧- متي ٢٧-٣٧

٨- يوحنا١٩-٣٥

٩- Encyclopaedia of Religion, V.I, p. 495

١٠- كورنثوس٢٣:١٥

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

١١- St. Augustine, *City of God*, p 306, Image Books, 1958 Edition

١٢- سفر التكوين ٢:٧

١٣- *City of God*, p 308

١٤- *City of God*, p, 313

١٥- *Encylopaedia of Religion*, V. 3, p 356, J. Pelikan, *The Essence of Christianity*.

١٦- Goldsack, *The Atonement*, Punjab Religious Book Society, Lahore, p 5

١٧- سعد الدين السيد صالح، مشكلات العقيدة النصرانية، دارالبيان مصر، ١٩٨٣م

١٨- J.N .D . Kelly, *Early Christian Doctorine*, p 14 7- 84

١٩- T. C Hammond, *In Under standing the Men*, p 110

٢٠- *Encyclopaedia* of Religion, V.3 p 357, Pelikaa, *The Essence of Christianty*.

٢١- اشعياء،٥٣-٤ ٧٠٠

٢٢- المرجع السابق

٢٣- احمد شلبي ، المسيحية ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٦٥م، ص ١٢٢.

٢٤- الزلزلة ٦-٨

٢٥- سفر التكوين ٣:٦

٢٦- كفاره كى حقيقت ص٢٩، انجمن احمدية ، ربوه ، باكستان.

٢٧- المصدر السابق

٢٨- Goldsack, *The Attonement*, Punjab Religious Book Society, Lahore. p13

٢٩- التكوين٦:٣-١٧

٣٠- التكوين٦:٣

٣١- تيموثاؤس٢:١٤

٣٢- مناظرة بين الاسلام و النصرانية- ص٢٦٢، الادارة العامة للطبع و الترجمة ١٤٠٧، الرياض.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

٣٣- المصدر السابق ص١٢٠

٣٤- المصدر السابق ص ١٢٢

٣٥- حزقيال ٢٠:١٨

٣٦- متى٢١:١

٣٧- لوقا١١:٢

٣٨- لوقا١٠:١٩

٣٩- متى ٢٨:٢٠

٤٠- متى ٢٨:٢٦

٤١- اهل رومية٥:١٢-١٩

٤٢- اهل رومية ٦:٣-٦

٤٣- St. Augustine, *City of God,* Book 14, Ch. II

٤٤- التكوين٥:٢٣-٢٤

٤٥- ٩:٦

٤٦- ايوب١:١

٤٧- لوقا٦:١

٤٨- سفريونان ١٠:٣

٤٩- حزقيال ١٨:٥-٩

٥٠- متى ١٩:١٦-٢٢

٥١- متى ٢٥:٣٤-٤٦

٥٢- رسالة يعقوب ٢:١٩-٢٤

٥٣- ارمياء ٣١:٢٩-٣٠

٥٤- حزقيال ١٨:١٩-٢٢

****

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com